

اجتهادات أقنعة الصيف والشتاء

ماذا يمكن أن يحدث لو تصرف الناس على طبيعتهم لعدة أيام، وتعرى كل منهم إنسانياً ونفسياً واجتماعياً وسياسياً،

وأظهروا ما فى دواخلهم من مشاعر وأحاسيس بدون محاولة تجميل أو تزويق؟ الإجابة مستحيلة لأن السؤال لا محل له فى الواقع المصرى الراهن. هذا السؤال هو ما فهمت أنه محور فكرة فيلم الفنان الكبير محمد "خان الجديد" قبل زحمة الصيف.

تقوم هذه الفكرة فى الفيلم كما أتصورها على أن وجود عدد محدود من الأشخاص فى مكان معزول وتفاعلهم معاً بحرية وبعيداً عن عيون المجتمع لعدة أيام يتيح كشف ما فى دواخلهم على حقيقته. تدور أحداث الفيلم بين الشاطئ و"شاليهين" فى قرية سياحية تظل شبه مهجورة طول العام باستثناء أشهر الصيف.

والمفترض أن يؤدى السياق الذى يوجدون فيه إلى نزع الأقنعة التى يضعونها على وجوههم، مثلهم مثل عموم المصريين. ولا أعرف مدى نجاح محمد خان فى تقديم هذه الفكرة، لأن هذا أمر يرتبط بالبناء الدرامى والرؤية الفنية، وهما من اختصاص نقاد متخصصين. ولكن انطباعى كمشاهد يحب السينما هو أنه لم يستطع تقديم الفكرة على نحو يكشف أعماق شخصيات فيلمه ويسبر أغوارها، ولا يقتصر على إظهار نزعات

عابرة لديها. وجدت الشخصيات فى مجملها خالية من العمق الذى يستلزمه تحقيق فكرة تتعلق بنزع الأقنعة فى لحظة تتيح فرصة لذلك، وفى مكان لا يوجد فيه آخرون، قبل أن يزدحم برواده مع مطلع الصيف وفق المعنى المتضمن فى عنوان الفيلم. وأعتذر عن استخدام كلمة الرتابة فى وصف انفعالات الشخصيات التى يُفترض أن يؤدى تجردها من الزيف إلى مواقف أكثر ثراءً وعمقاً. ولكن الأرجح أن هذا ليس قصوراً فى أداء فنان كبير بحجم محمد خان، بمقدار ما يدل على أن قوة الأقنعة فى مجتمعنا الحقيقى وصلت إلى مستوى يجعل من الصعب نزعها. يعيش المصريون منذ عقود فى حالة يسودها الزيف والتكاذب، سواء فى العلاقات بينهم كأفراد أو كفئات اجتماعية، أو فى علاقاتهم مع سلطات الحكم التى تعاقبت عليهم.

لقد أدمن المجتمع حياة الأقنعة، وتعود عليها، وصار أسيرها بحيث بات من الصعب نزعها حتى فى عمل درامى. فالأقنعة التى تغطى وجوهنا تلازمنا صيفاً وشتاءً وفى الربيع والخريف، وفى الزحام السائد والهدوء النادر، على حد سواء.